همّا فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سأله عنه ثم قال هما حفصة وعائشة فقد صغت
قلوبكما فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله
من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت وإن تظاهرا عليه وإن
تعاونا عليه بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره
وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره وزيادة هو إيذان بأن نصرته عزيمة
من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته وجبريل رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا
له من الملائكة تعظيما له وإظهارا لمكانته عنده وصالح المؤمنين ومن صلح من المؤمنين
يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الأنبياء وقيل
الصحابة وقيل الخلفاء منهم فإن قلت صالح المؤمنين واحد أم جمع قلت هو واحد أريد
به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم
ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحوا المؤمنين بالواو فكتب
بغير واو على اللفظ لأن لفظ الواو والجمع واحد كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها
حكم اللفظ دون وضع الخط والملائكة على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم
بعد ذلك بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين ظهير فوج مظاهر له كأنهم يد
واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه فإن قلت بعد
قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح
المؤمنين ونصرة الله أعظم وأعظم قلت مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه
فضل نصرته بهم ومظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته لفضلهم على جميع خلقه وقرئ
تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة مسلمات مؤمنات
مقرات مخلصات سائحات صائمات وقرئ سيحات وهي أبلغ وقيل للصائم سائح
لأن السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه
إلى أن يجيء وقت إفطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن في هذه الأمة
سياحة إلا الهجرة فإن قلت كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم يكن على وجه الأرض نساء

خير من أمهات المؤمنين قلت إذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وإيذائهن
إياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الأوصاف مع الطاعة لرسول الله
والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لأن القنوت هو القيام
بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله فإن قلت لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط
بين الثيبات والأبكار قلت لأنهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن في سائر الصفات
فلم يكن بد من الواو قوا أنفسكم بترك المعاصي وفعل الطاعات وأهليكم بأن تأخذوهم بما تأخذون
به أنفسكم وفي الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم
جيرانكم لعل الله يجمعهم معه في الجنة وقيل إن أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله
وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل فإن قلت أليس التقدير قوا أنفسكم
وليق أهلوكم أنفسهم قلت لا ولكن المعطوف مقارن في التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده
فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما
معا على لفظ المخاطب نارا وقودها الناس والحجارة نوعا من النار لا تتقد إلا بالناس والحجارة
كما تتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حرا
إذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أي ذو وقودها عليها يلي أمرها وتعذيب أهلها ملائكة
يعني الزبانية التسعة عشر وأعوانهم غلاظ شداد في أجرامهم غلظة وشدة أي جفاء وقوة
أو في أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة في تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام
من أعدائه ما أمرهم في محل النصب على البدل أي لا يعصون ما أمر الله أي أمره كقوله تعالى
أفعصيت أمري أو لا يعصونه فيما أمرهم فإن قلت أليست الجملتان في معنى واحد قلت
لا فإن معنى الأولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية
أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه فإن قلت قد خاطب الله
المشركين المكذبين بالوحي بهذا بعينه في قوله فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها
الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين
قلت الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم مساكنون الكفار في دار واحدة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)